مراحل الكتابة الإبداعية الأربعة

لد. محمد سعيد الريحاني

الواقعية النفسية

الواقعية النقدية

التجريبية

الواقعية السحرية

نموذج نص واقعي نفسي، من مرحلة الواقعية النفسية في مشوار محمد سعيد الريحاني الإبداعي:

"افتح، يا سمسم!"

(النص الثالث عشر بين نصوص المجموعة القصصية "في انتظار الصباح" الصادرة سنة 2003)



عنوان الكتاب: "في انتظار الصباح"
نوع الكتاب: مجموعة قصصية
الكاتب الناشر: محمد سعيد الريحاني
الطبعة: الأولى، 2003
رقم الإيداع: 2003/1603
لوحة الغلاف: محمد سعيد الريحاني
مطبعة: طوب بريس، الرباط/المغرب

ما هذا؟ ...

مرتبي؟ ...

هل أصبح لي عمل؟...

هل هذا تعويض عن عطالتي؟...

أنا لم آلف المفاجآت في حياتي ... و الآن؟... هل أحلم؟... هل أعيش حياة ثانية؟... مئات الدراهم...!

في جيبي أوراق نقدية من فئة مئة دراهم!...

عجبا! ...

أتحسس الأوراق... الواحدة تلو الأخرى ...أثنيها أكمشها ...

هبة من السماء! ...

أرفعها قبالة الشمس... أتفحص الخيط الفضي داخلها ...

الخيط هناك ...

الخيط واضح و غليظ مثل هراوة...عبارة التهديد مكتوبة أسفل الورقة المالية بالعربية الفصحى:

"كل من حرف أوراق البنك أو زورها أو ساعد على ذلك سيعاقب طبقا للقوانين والقرارات الجاري بها العمل"...

لا مجال للشك ... الأوراق البنكية حقيقية...
-"الآن أصبحت مسؤولا عن أسرتك... يجب أن تشتري ملابس لاخويك ...هناك متجر في المنعطف".

انتبهت الى مصدر الصوت عند قدمي ...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! ...

من هذا الذي يرشدني؟ ... متسول حاف عار يستر عورته بيديه!... إنه يعرف ما يدور في دماغي! ... وهؤلاء الرجال المعتصمون قبالة تلك البوابة وهم يئنون شعارات حزينة، هل هم يموتون؟... إنهم يكترون ...

شكاويهم تملأ المكان صخبا:
- أنا مطرود"...
-" أنا موقوف" ...
-"أنا مرفوض" ...
-"أنا .."..

يغمرني الخوف... أضطرب... تسود الدنيا أما عيني ... سواد ظلام دامس... أتحسس الحاجز أمامي ... أبحث عن مخرج ... هذا باب ... باب موصد ... باب خشبي ...حديدي... حجري ... أقرع الباب...

لا أحد يجيب ...

أنادي بكل قواي:
-"افتح يا رفيق!"

سكون ...
-"افتح يا أخ !"...

سكون
-"افتح يا سمسم! "...

وينفتح الكون! ...وينجلي السواد!... وتنقشع الظلمة عن رجل وطفلين ... عن بائع و... اخواي الصغيرين!...

يا للصدفة! ... اخواي!... ها هما يقيسان القمصان ... يشاوران البائع ... في اللون ... في الطول ... في العرض ... يااااااااا...! يا العجب! ... سبقاني للمتجر! شيء ما حدث! ... لم تبق لي أسرار ... حياتي لم تعد لي وحدي ... أصبح غيري يعرف أسراري ويسمع أفكاري ... أصبحت أخاف أن أفكر ...
-لا تخف! ... يقاطع البائع تفكيري يربت على كتفي ... لا تخف فكر كما تريد ... ما يحدث هو مجرد تفاهم ...

ينحني البائع على الطفلين ... يقبلهما... أسناهما تزداد بياضا تحت بسمة الفرحة بكسوة العيد ... أؤدي ثمن القميصين ... ولأول مرة أحس بمتعة صـرف المال! ... متعة المسؤولية !... يقبلني أخواي ... ينصرفان... نشيطين على غير عادتهما ... يقفزان ... يجريان... يتوقفان... يطالبان المارة أن يقرؤوا لهما الكتابة على صدر قميصهما... يرددانها ... يفرحان بها ...يجريان ... يطلقان ذراعهما الصغيرتين ليطيرا ... يحاكيان اللقلاق القادم من الجنوب ،السابح على مهل في زرقة السماء، باسطا جناحيه الطويلتين وهو يميل يمنة ويسرة يمنة ويسرة دون أن يحرك جناحيه ... يعلو... ينحني... يهزهز جناحيه قليلا ... يستريح وهو يحوم ... جناحاه دائما مبسوطتان ... يعلو... يعلو... فوق الربيع ... فوق النخيل ... فوق الجبال ... فوق السماء... فوق الشمس البيضاء بياض اللبن ...

كم اشتقت للبن! ...
-اللبن يطهر الجسم ... الحامض منه خاصة ...

هكذا يقول النادل للزبناء المتهالكين على الكراسي ...
-السكر والحلوى مفيدان للحنجرة أيضا ... يضيف من وراء منضدته البيضاء كقبر عظيم ... المقهى كله قبور ... قبور بيضاء ... قبور في شكل موائد حولها كراسي يتهالك عليها الأحياء من أهل المدينة .... يفتخر مالك المقهى بمقهاه ... " مقهى أحياء و أموات "... يطالبنا بالصمت:
-اششششش...!

الأمر الأبدي بالصمت يثير احتجاج الموتى تحت القبور المبنية بالحجر ... يثير قلق من حولي من الأحياء ... أنا الآن أتفهم توترهم نحن لا ننبس ببنت شفة حتى يطالبنا أحد بالصمت ... هذا ظلم!

يجيب مالك المقهى:
- أنا لا أظلم أحد ... كلامكم يعرض مقهاي للخطر ...يعلق المالك لوحة على الجدار قبالة الجميع:

"الرجاء من الزبناء الكرام عـــدم التدخين والكلام والصراخ حفاظا على الصالح العام".

ينفجر القبر الأول ... ينفجر الثاني ... الثالث... تثور ثائرة الأحياء والأموات ... كل الزبناء... الموتى.. المجانين.. ماسحي الأحذية .. المومسات.. بائعي السجائر... المتسولين... شباب يستر عورته بشواهده الجامعية ... يستقيم الجميع... يجربون حناجرهم ... ينتفون لوحة الأمر والنهي عن الجدار ... يكسرونها ... يفتتونها يلقون بفتات الأمر بعيدا ... ينصتون للوحي للإلهام ... لأنشودة الخلود... لصوت عبد الرحمان المجذوب ... نجري في صخب وفوضى وراءه ... ندوس بالأقدام من يعترض طريقا ... نلتحق بالشاعر ... نتحلق حوله ... نرسم دائرة من الأجساد حوله ... نتزاحم ...نطيل الأعناق لنسمع المجذوب ينشد ملء حنجرته...
نضطرب إجلالا...

هذه النبوة! ... هذا المنظر!...

ننظر الى أسفل الجبل ...

أسفل سافلين ...

ننظر الى مدينة القصر ... مدينة القصور ...مدينة خالية من الحياة إلا من حركة أولئك الذين يسرعون لغلق نوافذ فيلاتهم وقصورهم ... ننظر الى وادي المخازن ... مياهه شفافة ... مياهه برتقالية ... حمراء ... قانية ... سوداء ... النهر يمتلئ سوادا... يمتلئ ... يمتلئ... سطح مياهه يعلو بإصرار نحو حاشية السد ... إننا ننتظر الفيضان الأخير... ننتظر الطوفان من على قمة جبل صرصر ... نعد لانفجار السد بجنون ... نعد لغرق سباستيان البورتقيز ... نعد لغرق الطاغوت... نلوح بالأيادي ... بالقمصان بالجلابيب ... نكبر ... نكبر ... نكبر...

الله أكبر
(..) (..)
الله أكبر
(طق!) (! ...)
الله أكبر
(طق!) (طق !)
الله أ...
(طق!) (طق!)
... ...
(طق!) (طق!)

استيقظ عرقانا ... تكبيرات غامضة و بعيدة ترن في ذاكرتي على إيقاع الدق على الباب .

طق ! طق !
طق ! طق !

يشتد الدق على الباب ... أصيح:
-" انتظر ! "...

يهدأ الصداع لفترة. انتهز المهلة. اتفوه. اقرأ الشخبطات الجديدة على الحائط قرب السرير. اقترب منها أكثر. افرك عيني لأقرأ جيدا:

الشغل حق مضمون
الشغل شـ شـ الشغل
حق حـ حـ حق
مضمون ضـ ضـ مضمون

تنظيم السطور وتفكيك الحروف يذكرني بدروس الخط في المدارس الإبتدائية .هذا خط أخي الأصغر انه لا يثق في ذاكرته لهذا فهو دائما يدون كل ما يسمعه أو يدرسه ...حلمه هو أن تجعل منه دراسته معلما أو أستاذا . الخط المتموج يعكس رغبته في البقاء على السطر المفترض على الجدار. لا يخفى علي أبدا أنه بدل جهدا كبيرا ليكتب كل تلك الكلمات عالية لهذا الحد كي يقنعني أنه كبر فعلا.

يعود الطرق على الباب، من جديد.

أقفز من السرير. أتعثر في سروالي. أتدارك نفسي من السقوط.أجد نفسي أمام الباب. أفتحها على رجل في بذلة مهنية. أفرك عيني: ساعي البريد.

يمد لي ساعي البريد رسالة قائلا:
- " رسالة مضمونة. وقع هنا ".

يمد لي السجل أشخبط توقيعي تحت أصبعه يسحب سجله ثم ينصرف.
أزن الرسالة بيدي. هي في مثل ثقل الرسائل المضمونة التي ألفت تلقيها. لقد نميت حاستي السادسة جيدا خاصة فيما يتعلق بالرسائل المضمونة. إنني أستطيع التكهن بمحتوياتها دون الحاجة الى فتحها: إنها لا تحتوي سوى على وثائقي المرفوضة في مباراة شغل.

رميت الرسالة داخل البيت. هاهي تسبح في فضاء البيت، ترتطم بالجدار وتترنح ساقطة أسفل الدرس الطفولي.

الشمس ثابتة في وسط السماء. ساعي البريد، مثل جني، يزحف نحو أبواب الجيران، بلا ظل. يدنو من الباب الأخرى، محملا بالسجلات وكسوة العمل ومحفظة الرسائل. يطرق الباب من جديد ثم ينطق:
-" افتح يا سمسم!".

ينظر ساعي البريد باتجاهي. ينظر الى عيني بإلحاح. ملامحه تقاوم ابتسامة قوية. تغلبه أخيرا. يبتسم.

سنة 1991

نموذج نص واقعي نقدي، من مرحلة الواقعية النقدية في مشوار محمد سعيد الريحاني الإبداعي:

"الفرجة، الضباب والمشروع"

(النص الرابع بين نصوص المجموعة القصصية المعنونة "في انتظار الصباح" الصادرة سنة 2003)



عنوان الكتاب: "في انتظار الصباح"
نوع الكتاب: مجموعة قصصية
الكاتب الناشر: محمد سعيد الريحاني
الطبعة: الأولى، 2003
رقم الإيداع: 2003/1603
لوحة الغلاف: محمد سعيد الريحاني
مطبعة: طوب بريس، الرباط/المغرب

الضباب الصباحي يمسح معالم ساحة الفرجة وحلقياتها المسائية، يخرس صدى تصفيقات المتفرجين وما علق بالذاكرة من تعاليقهم المرحة، يطمس آثار ثقافة الأمس فلا يفلت من تضليله سوى صياح هذا الديك :

كوكو ريكو !
كوكو ريكو !

صياحه الرنان بين قصدير البراريك المتحلقة حول الساحة يستثير ردودا متفرقة من ديكة نائية. الديكة تتنادى، تتواصل عبر لا نهائية هذا الضباب :

كوكو ريكو !
كوكو ريكو !

قطرات الندى ترتج لقوة الصياح وتنزلق بطيئة على القصدير، غاسلة الكلمات المشخبطة عليها :

رسوم لقلوب مغمدة بالسكاكين
عبارات منع التبول ورمي الأزبال
أرقام مرتبة تناقصيا ...
الضباب.
صياح الديك يستحيل زعيقا وراء عبارة منع :
"ممنوع رمي الأز ..."

تتوارى الحروف الأخيرة من المنع داخل براكة مع انفتاح باب وإطلالة عجوز تمسك، من الجناحين، بديك ضخم يحركها كاملة كلما انتفض بين يديها. تقف على العتبة. ترقب الخيالات الصباحية الصغيرة وهي نكنس ساحة الحي بربطات أعشاب يابسة وتنقل الأحجار وتجمع صفحات الجرائد التي يحملها المتفرجون معهم إلى الحلقيات المسائية ليجلسوا عليها ...

أغنية قديمة بصوت طفولي تصدح، عبر الضباب، في مكان ما جهة السقاية. صوت طفولي أنثوي يغني :

يا الجيلالي، ها هم ليك ها هم ليك
يا الجيلالي، احرش العيون، آه.
راكب على بغيلته
يتسارى في قبيلته
ما راضي بحكم النصارى
ها هم ليك، هاهم ليك
يا الجيلالي، احرش العيون، آه.

الصدى ينساب هادئا، سلسا، بعيدا ...
سرب من الرجال يتقدمون داخل الضباب نحو وسط الساحة، يتحلقون حول أقصرهم : رجل بدين يخشخش المفاتيح الكثيرة بيد ويداعب باليد الأخرى بطنه المكورة. يرسم بسبابته مستطيلات في الهواء، يشرح بذراعيه القصيرتين، يخطط بمقدمة حذائه على الأرض ...

العجوز، لنفسها، بصوت مسموع :
- اشكون هادو ؟

انتفض الديك بقوة حتى كاد يلقيها أرضا.

تمالكت نفسها من السقوط. أسندت ظهرها على طقطقة القصدير وراءها. السند خلفها لا يعتد به.

عدلت وقفتها :
- ربما الحلايقية طالبوا بعمود الضوء على حساب الفراجةو السهير ...

صغيرات، بدورهن، توقفن عن الكنس، يراقبن، بحذر، العمال وهم يساعدون صاحب العربة في إفراغ حمولتها من الآجور والإسمنت والرمل ...

إحدى الصغيرات سألت العجوز :
-آش غادي يديروا هاذوا، امي عايشة ؟
- أشغال هادو، يا ابنتي، كتعرف بأخرها ...
-هاذ الفروج لـــهم ؟ ...

زعيق باب مجاورة يقطع أسئلة الطفلة، لكنها تصيح منادية الشيخ الخارج بإبهامه في عين البندير:
- عمي الجيلالي، شوف!

يسحق الجيلالي عود ثقاب ويشم دخانه كعادته حين يريد التركيز أو تدقيق النظر في أمر ما.ينتعش، ثم يبارك للعجوز ديكها.يقترب أكثر. يتحسس الديك بيده. يزنه من رجليه :
- الذبيحة على عتبة الدار، مهمة ! ...

الصغار والصغيرات يتحلقون حول الجيلالي، يجرونه من جلبابه، يلحون عليه بالغناء :
- فرجنا، عمي الجيلالي ! فرجنا ! ...
- الصباح وقت العمل. الفراجة مع المسافرين في المحطة. غادى في مهمة: الدراهم، اوليداتي.الحبشي. النيكل. اللعاقة...مازال البرنامج خاف عليكم ؟ الحلقة في العشية... أولادي. باي.

يتخلص منهم. يتسلم السكين من يد العجوز. يمرر الشفرة على ظفره. يراقب أثرها ويطلب الديك.

تتحاشى العجوز رؤية الدم، تنشغل بصرف الصغار وزجر الكلاب والقطط...

القطط، الآن، فوق الزنك، تراقب تعابير الدم التي يرشها الديك الـمذبوح على الأرض، منتفضا أو راقصا على إيقاع الأغنية القادمة من السقاية:

يا الجيلالي، ها هم لي ها هم ليك
يا الجيلالي، احرش العيون، آه،
راكب على بغيلته
يتسارى في قبيلته
ما راضي بحكم النصارى
ها هم ليك، هاهم ليك
يا الجيلالي، احرش العيون، آه.

يبتعد الجيلالي من شررات الدم كلما اقترب منه الديك. ينظر باستغراب إلى ديك لا يشبه الديكة. ديك مذبوح يجري في كل اتجاه. على رجليـــه. على جناحيه. على ظهره. ديك يقاوم الموت حتى آخر قطرة دم ...

في انتظار هدوء الديك، امسك الجيلالي بنديره وبدأ ينقره. العجوز تتابع بعينيها حركات الديك وهي تحرك رأسها لأزيز البندير :

ها البندير تكلم، اوليدي
هايلي، هايلي البندير تكلم، آهاه.
الليلة، الليلة
والليلة شايبة
ما نركدوا غير إذا ما
ضوى الحال، آه.

على الأرض، الديك لازال يقفز ويتمرغ في دمائه. يقف مقاوما التعب والموت. يتراخى قليلا قليلا. يثور من جديد. يطير. يسقط. ينقلب على ظهره. يثب واقفا على رجليه. يجري. يجري. يجري...

تنتفض العجوز كأنما أدركت خطأ :
- آش هاد الذبيحة، الجيلالي ؟ الفروج مازال حي ! عاوده بالذبيحة ! غادي يموت حرام ! اجر ! حط البندير على الأرض ...
الأطفال يجرون وراء الديك. يفرون منه حين ينتفض. يقبلون عليه حين يستكين. يلتقطونه أخيرا. يتسابقون لملامسته. يحملونه. هادئا. ميتا. يقدمونه لصاحبته وقد عادت البسمة إلى محياها. يستثمر الجيلالي ابتسامتها:
- مرحبا بنا عندك للعشاء ....
- اليوم، قصعة كسكس لكل حلقة ...
- وإذا أخلفت الوعد ؟ قصيدة، غادي ننظم عليك هاذ العشية...
- أنا في عارك ! القصيدة، لا ...

الضباب بدأ في التراجع. الساحة، الآن، تستعيد بعض معالمها.

العمال، بصمت ،،يشتغلون.

العجوز للجيلالي :
- غريب أمرهم !
- ما كيديوها ف احد ...
- إيوا آش كيديروا ؟!
- اللي ظاهر، أنهم كيبنيوا شي حاجة ما كتهمناش ...
- لو كان الأمر كيعنينا كون طالبونا بالفطور والمعونة ...
- وكيبنيوا وسط الساحة !
- غير خسارة الحلاقي، وصافي ! ...

العمال، الآن، يضعون آخر اللمسات على هذا المستطيل الإسمنتي. يتعاونون ليغرسوا فوقه لوحة حديدية. عاليا. فوق متناول الأيادي العابثة. يتأكدون أن اللوحة ثابتة. يسعفونها ببضع ضربات من خليط الإسمنت والرمل. ينزلون. يراقبون وضع اللوحة الحديدية فوق المستطيل. يبتعدون عنها. يقتربون منها. يقرؤونها. يمسحون بالإسفنجة شظايا الإسمنت عليهـــــا...

اللوحة، الآن، عالية وواضحة.

جمع العمال أدواتهم وينصرفون.

تلكز العجوز الجيلالي :
- كل هذه القيامة على هذه الركيزة ؟!
- خاص نقراوها، بعدا.

يحاول طفل أن يقرأ لهما اللوحة :
- م . مش . رو . مشرو ...

تصرفه العجوز بلطف :
- باراكة باراكة ...

لكن الطفل يستمر في إثبات قدرته على القراءة :
- مشروع م . مر . مركب ...

تنهره :
- قلت لك : سر تلعب ! ...

يشعل الجيلالي عود ثقاب. يرمش انتعاشا بدخانه : عادة أدمن عليها منذ خروجه متقاعدا من الجيش حيث قضى شبابه بين رائحة البارود وهياج التحرير.

يقترب من اللوحة ليقرأها :
- "مشروع مركب سياحي"

الذهول يكتسح ملامح الرجل.

يعيد القراءة ثانية وثالثة. يحاول فهمها قبل شرحها للعجوز التي تلح عليه لكزا من الخلف. لكن غناء الصغيرات يشوش عليه :

يا الجيلالي، ها هم ليك ها هم ليك
يا الجيلالي، احرش العيون، آه،
راكب على بغيلته
يتسارى في قبيلته
ما راضي بحكم النصارى
ها هم ليك، هاهم ليك
يا الجيلالي، احرش العيون، آه.

الضباب، الآن، قد انجلى. الرؤية واضحة والشمس في عز السماء.
وضع الرجل بنديره على الأرض. ظلل عينيه بكفه من الشمس، مادا بصره إلى حيث تلتقي الأرض بالسماء من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بحثا عن بداية ونهاية المشروع.

نص مكتوب سنة 1993

نموذج نص تجريبي، من مرحلة التجريب القصصي في مشوار محمد سعيد الريحاني الإبداعي:

"من غِرْنيكا إلى غزّة"

(النص الأول بين نصوص المجموعة القصصية المعنونة "وراء كل عظيم أقزام" الصادرة سنة 2012)



عنوان الكتاب: "وراء كل عظيم أقزام"
نوع الكتاب: مجموعة قصصية
الكاتب الناشر: محمد سعيد الريحاني
الطبعة: الأولى، 2012
رقم الإيداع: 2012MO0485
الترقيم الدولي: 978-9954-30-768-7
لوحة الغلاف: محمد سعيد الريحاني
مطبعة: طوب بريس، الرباط/المغرب

I
روعة عالم من أكواخ
من ليل ومن حقول
II
وجوه صالحة للحرق وجوه صالحة للرَّمْي
للرفض للظلام للإهانة للضرب
III
وجوه صالحة لكل شيء
ها هو الفراغ يحاصركم
لكن موتكم سيبقى مثلا أعلى للجميع
IV
الموت قلب مقلوب
V
دفعْتُمْ ثَمَنَ خُبْز
وسماء وأرض وماء ونوم
وبؤس
حياتكم
VII
أصروا وأفرطوا فتبرأت منهم الإنسانية
XII
أي

ها الرجال لمَنْ وُهبَ هذا الكنز
أيها الرجال بأي حق أُتْلفَ هذا الكنز
XIII
أيها الرجال الحقيقيون يا مَنْ يُغَذي اليَأْسُ
نيرانَ الأمَل في صُدورهم
لنُفَتّحْ سَويَّةً آخر البراعم الغدوية

الشاعر الفرنسي **بول إيلوار** (**Paul Eluard**)، 1938
عن ديوانه **" Cours naturel "**

فتح "**القزم**" علبة الثقاب ليَعُمَّ الهواء أرجاءها الداخلية وينير الضياء جنباتها المعتمة، فاستيقظ بقية "**الأقزام**" داخل العلبة وهرولوا نحوه لمساعدته على أزمة جلية يحاول جاهدا الاحتفاظ بها لنفسه.

وقف "**القزم**" عرقانا في لباس نومه والشعر النافر في كل جسمه يهتز على إيقاع نبضات قلب خائف ومجنون يسمعها كل من تحلق حوله من "**أقزام**" علبة الثقاب قبل أن يستسلم "**القزم**"، أخيرا، تحت إلحاح اللكز، ويروي لبقية "**الأقزام**" ما رآه في منامه:
- لقد حلمت نفسي فرعونا عظيما بلحية ذهبية جالسا على عرش ذهبي محاطا بكبار الرهبان والمنجمين وهم يفتون في أمر رؤيتي ويجمعون على ضرورة قتل كل أطفال الأرض من مواليد هده السنة...

استبشرت الحاشية خيرا ورأت في المنام "**رؤيا**" وأن القزم الرائي سيصبح "**عظيما**" لا محالة وأنه اختير من السماء وأن "**أرض الميعاد**" هي أرض تحقيق الرؤيا وتحققها لكن القزم صاح في وجوههم غاضبا:
- أين العظمة فيما رأيت؟ أنا حلمت بقتل الأطفال وزجر الثكالى وسفك الدماء!...

فرد جميع "**الأقزام**" بصوت واحد:
- هذه هي العظمة وهذا هو الطريق المؤدي إليها وهذا هو النهج الذي سلكه الفرعون العظيم بنفسه!...

عمت الفرحة والهياج كل أرجاء علبة الثقاب التي كانت غرفة نوم الأقزام لكن أحد حكمائهم طالبهم بالتروي والتحلي بالرزانة وربط الرؤيا بالعمل على تحقيقها على الأرض فقاطعه "**القزم**" الذي حلم الليلة الماضية ب"**العظمة**" وبدا هذه الصبيحة مَهْوُوساً بها:
- وكيف السبيل لذلك؟!..

رد "**هَامَانْ القزم**":
- لا يتطلب الأمر أكثر من إرادة تحقيق الرؤيا.

فقاطعه "**القزم**" الحالم بالعظمة:
- ولكننا "**أقزام**" وهم شعب "**الجبارين**"؟!

فأجاب "**هامان القزم**":
- إن الصورة التي يعطيها المرء لغيره هي ذاتها الصورة التي يتبناه الآخر ولو كانت عكس مصالحه وضد وجوده. فلماذا لا نقلب الصورة ونتصرف، نحن، ك"**جبابرة**" ونعاملهم، هم، ك"**أقزام**"؟!

كَرَّرَ "**القزم**" الحالم بالعَظَمَة سُؤاله:
- ولكننا "**أقزام**" وهم "**جبارين**"؟!

فكرر "**هامان القزم**" جوابه:
- لا يتطلب الأمر أكثر من إرادة تحقيق الرؤيا.

قال "**القزم**" الحالم بالعظمة، جازما:
- الإرادة متوفرة...

أضاف "**هامان القزم**":
- بعد الإرادة، يمكن الحديث عن التخطيط لإنجاز الإرادة وتحقيقها على الأرض.

فقاطعه "**القزم**" الحالم بالعظمة، متلهفا:
- خططوا للأمر، إذن، وَنَوّرُوني**!**..

التحق باقي "**الأقزام**" بدائرة الاقتراحات وألقوا بعصيهم فإذا بها أفاع تسعى:
- حمام الدّم**!**...
- الضرب بيد من حديد**!**...
- النار، الحرق، التطهير**!**...
- الدم، القتل، الإبادة**!**...

صرخ "**القزم**" الحالم بالعظمة:
- وكيف لقزم مثلي أن يحقق كل هذا**؟!**

عم صمت مطبق أرجاء علبة الثقاب. وأثناء تفكير الجميع في حل للمعضلة، تقدم قزم ممن لم تتح له فرصة الإدلاء برأيه من قبل ووضع حقيبة على الأرض ونفض عنها الغبار بيديه ثم فتحها وأخرج محتوياتها وعرضها أمام عيني "**القزم**" الحالم بالعظمة قبل أن يقول ببرودة دم:
- هده أدواتك، ولن تحتاج إلى غيرها.

تعجب "**القزم**" الحالم بالعظمة وقال:
- هذه أقنعة صالحة للتمثيل المسرحي على خشبة المسرح أمام جمهور مسرح ولا شأن لها بما نحن بصدد تداوله**!**...

رد "**المُهَرّج القزم**"، واثقا من نفسه دائما:
- المسرح لا حدود له، والخشبة لا حدود لها، والجمهور لا حدود له، والتمثيل لا حدود له، ومن أتقن دوره نَجَّحَ مُهمته حيثما وُجدَتْ وَكَيْفَمَا كانت.

لازم "**القزم**" الحالم بالعظمة العجب:
- ولكن هذه الأقنعة صالحة للتهريج والإضحاك**!**...

أجابه "**المُهَرّج القزم**":
- مَعي، أنا المهرج، هذه الأقنعة تصلح للتهريج والإضحاك؛ لكن، مَعَكَ، أنت العظيم المختار من السماء، سَتَصْلُحُ هذه الأقنعة لتحقيق الأهداف بنفس الدقة التي ترسمها بها في ذهنك. فبمجرد وضع هده الأقنعة على وجهك، ستحل روح صاحب القناع في جسدك وستملأ بركته فراغاتك وتنير قوته طريقك وستنجح في كل ما سترسمه أمام عينيك. إن هذه الطريقة ساري المفعول بها في كواليس تدبير الأمور العليا في كل أرجاء المعمور ولذلك يقال، بين الفينة والأخرى، "**التاريخ يعيد نفسه**"**!**

صَمَتَ "**المُهَرّج القزم**" هُنَيْهَةً ليُراقب ملامح "**القزم**" الحالم بالعظمة في انتظار انفراجها ثم أضاف:
- ضع قناعا من هذه الأقنعة على وجهك إتباعا حسب تشابه الظرفية التي ستجد نفسك فيها والظرفية التي كان فيها "**العظيم**" صاحب الصورة المرسومة على القناع، تبركا بقوة الأباطرة والملوك والزعماء والقواد وصانعي التاريخ. إن التبرك بهؤلاء "**العظماء**" سَيُجَنِّبُكَ، لا محالة، العثرات والزّلات والمشاكل والأزمات والانكسارات والهزائم النكراء التي يمكن أن تتورط فيها...

ثم بدأ "**المُهَرّج القزم**" يُسَمي أقنعته ويضعها واحدةً واحدةً بين يدي "**القزم**" الحالم بالعظمة:
- هذا قناع **رعمسيس الثاني**، وهذا قناع **تشي هوانغ تي**، أما هذا فقناع **نابوليون**، وهذا **لهتلر**، وهذا **لفرانكو**، وهذا **للحجاج**، وهذا **لنيرون**، وهذا **لكاليغولا**، وهذا **لبوكاسا**، وهذا **لهولاكو...**

فهلل "**القزم**" الحالم بالعظمة، وصاح مُهْتاجاً:
- هاتوا الأقنعة وأعيدوني إلى حلمي! أعيدوني إلى رؤيتي! أعيدوني إلى نبوتي!..

<u>قناع الفرعون رعمسيس الثاني:</u>
هل كان حلما أم كابوسا أم رؤيا؟
إنه يشبه حلم ملك **يهودا** تماما حين قصد قتل صبي واحد فقتل كل الصبيان!
هل يمكن لطفل من الأقليات أن يهدد عرشي؟
سآخذ برأيكم، أيها الكهنة، وسآمر بقتل كل المواليد الجدد لهده السنة مع الإتيان بمهودهم مخضبة بالدماء كي أتأكد من الأمر وأقارن العدد المقتول من الأطفال بين يدي بالعدد المقتول من الأطفال في حلمي والذي لن أفصح لكم به إلى غاية تأكدي من إخلاصكم في تنفيذ أوامري ووفائكم لعرشي...

<u>صوت محمود درويش في مواجهة قناع الفرعون رعمسيس الثاني:</u>
"سأختار شعبي
سأختار أفراد شعبي
سأختاركم واحدا واحدا من سلالة
أمي ومن مذهبي،
سأختاركم كي تكونوا جديرين بي
إذن أوقفوا الآن تصفيقكم كي تكونوا
جديرين بي وبحبي
سأختار شعبي سياجا لمملكتي ورصيفا لدربي
قفوا، أيها الناس، يا أيها المنتقون
كما تنتقى اللؤلؤة
لكل فتى إمرأة
وللزوج طفلان: في البدء يأتي الصبي
وتأتي الصبية من بعد، لا ثالث،
وليعم الغرام على سنتي
فأحبوا النساء، ولا تضربوهن إن مسهن
الحرام
سلام عليكم.. سلام .. سلام"

<u>قناع تشي هوانغ تي:</u>
أنا الإمبراطور الأول **تشي هوانغ تي** ولا أحد قبلي: لا إمبراطور ولا نبي ولا حكيم، لا **اللاو تسو** ولا **كونفوشيوس** ولا **بوذا**. أنا **الأكبر** وأنا **الأوحد**، أنا **الأول** وأنا **الآخر**...
ولعل تشكيكم في قولي نابع من كتب الترهات والأباطيل التي تحتفظون بها والتي أنتم مطالبون بإحضارها اليوم مساء للحرق والإتلاف. وسأصدر بعد ساعة مرسوما في الموضوع. ولكنكم لن تنتظروا صدور المرسوم لتأتوني بالكتب لأحرقها بيدي. أما من عصى أمري، فستأتونني به حيا يرزق لأكويه بالنار وأسوقه بيدي لإفناء بقية حياته في بناء السور العظيم الذي سيبدأ من **الصين** لينتهي في **فلسطين**.

صوت محمود درويش في مواجهة قناع تشي هوانغ تي:

"أيها المارون بين الكلمات العابرة
آن أن تنصرفوا
وتقيموا أينما شئتم ولكن لا تقيموا بيننا
آن أن تنصرفوا
ولتموتوا أينما شئتم ولكن لا تموتوا بيننا
فلنا في أرضنا ما نعمل
ولنا الماضي هنا
ولنا صوت الحياة الأول
ولنا الحاضر،والحاضر ، والمستقبل
ولنا الدنيا هنا...و الآخرة
فاخرجوا من أرضنا
من برنا ..من بحرنا
من قمحنا ..من ملحنا ..من جرحنا
من كل شيء،واخرجوا
من مفردات الذاكرة
أيها المارون بين الكلمات العابرة..!"

قناع كاليغولا:

أريد ألعابا نارية!
لنقل "**ألعابا أكثر من نارية**"!
ولكنني لست بحاجة لحضور جميل يحتفل معي بألعابي!
أنا أفضل أن احتفل بألعابي وحدي وأن ألقي بألعابي على من أريد وأن تحرق ألعابي أهدافي!
فما رأيكم في الأطفال كأهداف لألعابي النارية!
هل من معارض؟
إذن، فلتكن ألعابي النارية مصنعة من مواد كيماوية أو من الفوسفور الأبيض أو من اليورانيوم المنضب أو **النابالم** الحارق...
المهم، ألا تقل درجة حرارتها عن التسعمائة درجة مئوية وأن تكون الذخيرة كافية لاثنين وعشرين يوما من الاحتفال!
هيا، ماذا تنتظرون؟
إليَّ بألعابي!

صوت محمود درويش في مواجهة قناع كاليغولا:

"خسائرُنا: من شهيدين حتى ثمانيةٍ كُلَّ يومٍ.
وعَشْرَةُ جرحى.
وعشرون بيتاً.
وخمسون زيتونةً...
بالإضافة للخَلَل البُنْيويّ الذي
سيصيب القصيدةَ والمسرحيَّةَ واللوحة الناقصةْ"

قناع نيرون:

أيها الشعراء، لا شك آن قصائدي ألهمتكم فأبدعتم على خلفية إبداعاتي!

ولا شك أنكم جربتم لحظة الإلهام ولحظة غير الإلهام ووصل بكم الاستعداد أحيانا لحرق زيجاتكم وأطفالكم لقاء نَظْم قصيدة!

أيها الشعراء، لست سيد الحرق. بل الحرق هو سيدي!

هذه هي الحقيقة وأنتم، الآن، أدرى الناس بها!

الشعر قدري والغناء قدري والحرق قدري وأنا أكثر الناس طاعة لأقدارهم وأكثرهم إعطاء للمثل في ذلك فلتمتثلوا لأقداركم أيضا ولتتقبلوا ألسنة النار في سقوف بيوتكم ولتكبحوا هلع صغاركم ولتلجموا عويل نسائكم؛ فهذه إرادة التاريخ، والتاريخ لا ينصت لآلام الأصوات الصغيرة وآمالها!

صوت محمود درويش في مواجهة قناع نيرون:

يا دامي العينين والكفين!
إن الليلِ زائلْ
لا غرفةُ التوقيف باقيةٌ
ولا زَرَدُ السلاسلْ!
نيرون مات، ولم تمت روما...
بعينيها تقاتلْ!
وحبوبُ سنبلةٍ تموت
ستملأُ الوادي سنابلْ... !

قناع هولاكو خان:

"من ملك الملوك شرقًا وغربًا القائد الأعظم: باسمك اللهم، باسط الأرض ورافع السماء، يعلم (...) من (...) هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك (...) إنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على مَن حَلَّ به غضبه، فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم وأسلموا لنا أمركم. قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ، فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرقّ لمن شكر، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد، فعليكم بالهرب، وعلينا الطلب، فأي أرض تؤويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم؟! فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالحصون عندنا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُسمع (...) فأبشروا بالمذلة والهوان، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم، فإن أنتم لشرطنا وأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم، فقد حذّر من أنذر. وقد ثبت عندكم أنا نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سَلَّطَنا عليكم من له الأمور المقدّرة، والأحكام المدبرة، فكبيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزًا، ولا كافيًا ولا حرزًا، وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم، والسلام علينا وعليكم، وعلى من أطاع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى".

صوت محمود درويش في مواجهة قناع هولاكو خان:

"أيُّها الواقفون على العَتَبات ادخُلُوا،
واشربوا معنا القهوةَ العربيَّةَ
فقد تشعرون بأنكمُ بَشَرٌ مثلنا.
أَيها الواقفون على عتبات البيوت!
أُخرجوا من صباحاتنا،

نطمئنَّ إلى أنّنا
بَشَرٌ مثلكُمْ!"

قناع الحجاج بن يوسف الثقفي:

أيها الجنود، أراكم تتعففون من التدمير الذي قطعتم كل هذه الأميال الطويلة لتنفيذه!

ألا زلتم تؤمنون بالمواثيق الدولية وحماية المدنيين والحفاظ على أرواح الأعيان الثقافية واحترام الأماكن المقدسة؟!...

أيها الجنود، هذه تعليماتي الأخيرة لكم: اقتلوا كل من يحول دون تحقيق أهدافكم بما في ذلك الأعيان الثقافية ودمروا كل شيء يعترض سبيلكم بما في ذلك المساجد. وتذكروا جيدا قصتي مع **عبد الله بن الزبير** الذي حاول الاحتماء بالكعبة المكرمة للهروب من قبضتي. فهل كان له ذلك؟

كَلاَّ، وَألْفَ كَلاَّ.

لقد اعتقد بأنني سأحترم بُنَاة الكعبة من ملائكة السماء وآدم أبي البشر وإبراهيم أبي الأنبياء...

أعتقد أنكم تعرفون تتمة القصة: لقد هدمت، بالمنجنيق، الكَعْبَةَ التي كان يُسَلِّم بوقوفها في وجهي وأخرجته مُكْرَهاً ذَليلاً صَاغرا وعلقته من عنقه عبرة لغيره من العاقين. فإذا كنت أنا فعلت هذا مع كبير المتمردين، فكيف تعجزون، وأنتم مدججين بأفتك الأسْلحة وَأَحْدَثِهَا، أمام "**أطفال**"؟

أيها الجنود، اهدموا كل شيء ولو كانت من بين المباني "**الكَعْبَة**"!

صوت محمود درويش في مواجهة قناع الحجاج بن يوسف الثقفي:

"سيمتدُّ هذا الحصار إلى أن يُحِسَّ المحاصِرُ، مثل المُحَاصَر،
أَن الضَجَرْ
صِفَةٌ من صفات البشرْ"

قناع فرانسيسكو فرانكو:

كم تمنيت حذف حرف "**الغين**" من القواميس!
أكره حرف "**الغين**" من "**غرنيكا**" إلى "**غزة**"!
أكره الأقليات!
أكره الثوار!
أكره المقاومين!...

صوت محمود درويش في مواجهة قناع فرانكو:

"عازف الجيتار في الليل يجوب الطرقات
و يغني في الخفاء
و بأشعارك يا لوركا يلم الصدقات
من عيون البؤساء
العيون السود في إسبانيا تنظر شزرا
و حديث الحب أبكم
يحفر الشاعر في كفيه قبرا
إن تكلم
نسي النسيان أن يمشي على ضوء دمك
فاكتست بالدم أزهار القمر
أنبل الأسياف حرف من فمك
عن أناشيد الغجر

آخر الأخبار من مدريد أن الجرح قال
شبع الصابر صبرا
أعدموا غوليان في الليل و زهر البرتقال
لم يزل ينشر عطرا
أجمل الأخبار من مدريد
ما يأتي غدا".

قناع أدولف هتلر:

"غرنيكا" غابة مثل كل الغابات. ثلاث ساعات تكفيها لقتل ألفي خنزير من خنازيرها كما تفعلون دائما مع باقي الخنازير في باقي الغابات وفي **"غزة"** لن نقبل بأقل من هذا العدد. ونفس الشيء بالنسبة للممتلكات، ألفان منْ كُلّ مَا رُصَّ منْ حَجَر: ألفا منزل وألفا دكان وألفا صيدلية وألفا كشْك وألفا مَخْلَبَة وألفا مَلْبَنَة وألفا مخْبَزَة وألفا مصْبَنَة وألفا معْصَرَة وألفا مَدْرسة وألفا مَسْجد وألفا مُسْتَوْصَف وألفا سيارة إسْعَاف وألفا مَقْهَى وألفا مَلْعَب وألفا حَمَّام عُمُومي...

"غرنيكا" تطلبت منا ثلاث ساعات من القصف المكثف لإحراقها بالكامل أما **"غزة"** فستتطلب من اثنين وعشرين يوما بالتمام والكمال لأن مهمتنا هناك أصعب. في **"غرنيكا"**، كنا نحرق البشر والبهائم والشجر والحجر. لذلك، لم يتطلب منا الأمر وقتا طويلا. أما في **"غزة"**، فالتدقيق في الضحايا واختيار الأطفال أكثر من سواهم عملية تحتاج إلى وقت لأننا سنحاسب أمام المحاكم الدولية على قتل غير الأطفال...

صوت محمود درويش في مواجهة قناع هتلر:

"أما الآن فالأحوال هادئة تماماً مثلما كانت
والموت يأتينا بكل سلاحه الجوي والبري والبحري
مليون انفجار في المدينة
هيروشيما هيروشيما
وحدنا نصغي إلى رعد الحجارة
وحدنا نصغي لما في الروح من عبثٍ ومن جدوى".

قناع جون بيديل بوكاسا:

هذا لا يحتاج إلى مشورة الإمبراطور فأنتم أعلم باختياراتي: اقتلوا الأطفال. وإذا ما نفذت الذخيرة وتعبتم من القتل، أتوني بما تبقى منهم أحياء لآكلهم. فليس ثمة وجبة أشهى من لحم الأطفال مذهونا بتوابل الهند الزكية ومشويا على نار هادئة ومُمَلَّحاً ومُحَمَّضاً بالليمون وَمُزَيَّناً بالفواكه المجففة!

أوف، إنني أموت تلهفا لطبق اليوم فلو كانت معدتي تتسع لكل الأطفال من مواليد هذه السنة لطلبتهم أحياء ولاستغنيت عن النار والرصاص. فلا شيء أطرى وألذ من اللحم الفتي: لحم الحملان ولحم العجول ولحم صغار اليمام وصغار الحجل وصغار الزرافات وصغار الحمير الوحشية...

صوت محمود درويش في مواجهة قناع جون بيديل بوكاسا:

"وكأنني قد متُّ قبل الآن
أعرف هذه الرؤيا ، وأعرف أنني
أمضي إلي ما لسْت أعرف . ربَّما
ما زلت حيًّا في مكانٍ ما، وأعرف
ما أريد
سأصير يوما ما أريد.

سأصير يوما فكرة . لا سيْف يحملها

إلي الأرضِ اليبابِ ، ولا كتاب"
كأنّها مطر علي جبلٍ تصدّع من
تفتُّح عشْبةٍ ،
لا القوّة انتصرتْ
ولا العدْل الشريد
سأصير يوما ما أريد."

تجريب قسري لأحد الأقنعة على وجه أحد أقارب الضحايا:

إذا كانت المقاومة تؤذي شعبنا وتلحق به الضرر فنحن ضد الدفاع عن النفس وضد تصعيد الخسائر وضد رفع التحدي. إننا نقولها بصوت عال قبل فوات الأوان وانقراضنا من الوجود: نحن مع الانبطاح والخضوع والاستسلام حتى مرور العاصفة وسنقوم بعرقلة خطط المتهورين الذين يدفعوننا إلى مواجهة غير متكافئة ستؤدي بنا حتما إلى التهلكة.

صوت محمود درويش في مواجهة مُجَرّبى الأقنعة من الأهالى:

"عربٌ أطاعوا رومهم
عربٌ وباعوا روحهم
عرب وضاعوا"

قناع نابليون بونبارت:

الآن وقد تبين بالمكشوف أن الأمور مرت بالسرية اللازمة وأن أهاليكم لم يكونوا على علم بتواطئكم معنا لتحقيق الأهداف التي ما كنا لنحققها لوحدنا ما دامت الأقنعة السحرية كانت تتطلب مشاركة الجميع في التمثيل؛ الآن وقد انتهت الحرب التي سماها أهاليكم **"عدوانا"** ووضعت أوزارها، ها هي المكافأة المالية الضخمة التي وعدتكم بها لقاءَ تعاونكم معنا ضد وطنكم وأهاليكم. خذوها ولا تقتربوا مني لمُصَافَحَتي فَيَدي لا تُلامسُ أَيَاد خَانَتْ أَوْطَانَهَا.

صوت محمود درويش يُسْقط الأقنعة جميعها:

"سقط القناع عن القناع عن القناع
سقط القناع
لا إخوةٌ لك يا أخي، لا أصدقاءُ يا صديقي، لا قلاع
لا الماء عندكَ ، لا الدواء ولا السماء ولا الدماءُ ولا الشراع
ولا الأمام ولا الوراء".

أمام المحاكم الدولية، مرافعة ضد التهم بارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية:

بالنسبة لاتهامنا بارتكاب جرائم حرب ضد مدنيين عزل باستخدام مفرط للقوة ضدهم واستعمالهم دروعا بشرية للاحتماء من رجالات المقاومة واستخدام أسلحة محرمة دوليا وقتل الأطفال والنساء والمسنين والمعاقين والمسعفين والصحفيين... فإننا نقدم اعتذارنا الكبير عن كل خطأ في إصابة أهدافنا والذي قد يكون ذهب ضحيته غير الأطفال. إن هدفنا الوحيد كان هو إبادة مواليد هذه السنة من الأطفال فقط. وإذا كان من بين الضحايا نساء فربما لأنهن أمهات أطفال أو لأن الأطفال كانوا في حجورهن مما أدى بطيارينا إلى قصفهم معا وهو ما لا يمكننا تحمل تبعاته بعدما وزعنا المناشير بالابتعاد عن الأطفال...

وبالرغم من كل ذلك، فإننا على استعداد لتعويض أسر المسنات تعويضا ماليا ينسيهم فقيداتهم. أما باقي النساء فعليهن أن يعلمن بأننا سنعود بنفس العنف اللامحدود وبنفس البطش الفتاك إذا ما حملن من جديد هذه السنة ووضعن من جديد قبل دخول السنة الموالية...

مع كل "غرنيكا"، ينبعث بيكاسو ليرسم الدمار من جديد:
رؤوس أطفال مقطوعة،
أيادي نساء مخضبة بالحناء والدماء،
أشلاء بشرية ،
حُمرة دماء على بقايا جدران، بياضُ مخَاخ آدمية على الأرض...
ركام حديد وإسمنت،
هياكل سيارات محروقة،
أنين أصوات بشرية تحت الأنقاض،
دخان في كل مكان،
أزيز طائرات تحجب الشمس،
وحيرة الجراحين إزاء جروح طفيفة على جلد الضحايا تولد نزيفا داخليا يؤدي إلى الموت...

صوت مايكل هارت يغني "لن نستسلم"، على أمواج إذاعة غزة ثوان قبل قصفها:

"لن نستسلم
في غزة هده الليلة..."

صوت مايكل هارت يغني "لن نستسلم"، على أمواج إذاعة خارج غزة لحظات قبل تعقبها وقصفها:

"لن نستسلم
هذه الليلة دون قتال
يمكنكم حرق مساجدنا ومنازلنا ومدارسنا
لكن روحنا لا يمكنكم الوصول إليها..."

صوت مايكل هارت يغني "لن نستسلم" في أمان على أمواج إذاعة كونية تبث إرسالها من كوكب بلوتو، آخر كواكب المجموعة الشمسية :

"لن نستسلم
هذه الليلة دون قتال
يمكنكم حرق مساجدنا ومنازلنا ومدارسنا
لكن روحنا لا يمكنكم الوصول إليها
لن نستسلم
في غزة هده الليلة

النساء والأطفال سواء
يُذْبَحُونَ وَيُذَبَّحُونَ ليلة بعد ليلة
فيما أدعياء الزعامات يتجادلون في البعيد
عن المخطئ والمُصيب..."

بتاريخ: 25 يناير 2009

نموذج نص واقعي سحري، من مرحلة الواقعية السحرية في مشوار محمد سعيد الريحاني الإبداعي:

"رجلٌ واحدٌ، حَيَاتَان"

(النص الثاني بين نصوص المجموعة القصصية الأنغلوفونية، "عمالقة وفراشات"، المرتقب صدورها نهاية 2023)

One Man, Two Lives

By Mohamed Saïd Raihani

The beam of sunshine leaking through the louvers was reflected on the opposite wall as a thin line of light linking the sunlit world outside with the darkness inside. A reflection accompanied by the calls for afternoon prayer out of Fez city minarets, a heavy snoring in the near foreground and a steady shuffle of approaching feet. A sound that became more and more audible until it mingled with the crackle of the window shutters slammed against the internal side of the wall, pushing a tableau out of its nail to fall on a human head, covered by a white blanket:

'Oh!' The sleeping young man whimpered out. 'Can't you do anything right, Simou?'

'Of course, I can' Simou said sarcastically, 'if only you make room for free movement at this time of morning!'

The sleeping body, under the blanket, stretched out his arms and legs as far as he could, showing the height and shape of a teenager. He reached out for the alarm-clock and was surprised by the time that the clock hands were pointing to:

'Midday!' He exclaimed. 'I must have slept for ages!'

'The important thing is to have slept with very few nightmares in your account!'

Simou replied, still busy spraying home-made fragrance in the air, tidying and cleaning up.

'How can I dream of nightmares while having experienced, in real-life battles, the heroism that every noble living being dreams of?'

Then, he sat up, stretched himself out lazily and said with visible pride:

'Will you believe me, Simou, if I tell you that, for such a long time, I've been awaiting a night like yesterday's?'

'Come on, Abdou.' Simou replied, carelessly. 'You know that I always believe you!'

Abdou blinked with joy, took his time to feel the story in his memory before telling it. Then, he said:

'I went to the police station.' Abdou said, hitting the pillow with his clenched fist, proudly. 'I did. I wanted to avenge myself for the humiliation they did to me, that day in ladies' presence. My reaction was strong.'

He kept quiet and looked defiantly at Simou, inquiring:

'Do you know what I did?'

Simou feigned to be listening while still busy doing the clean-up. Abdou raised his fists and tone:

'I shouted in their faces: ''you dogs!'' Then, I climbed the little wall surrounding the station and pissed on the heads of the officers who were there, down the gate.'

Abdou reached out for the bottle of water on the chest of drawers but found it empty. The bottle was shivering in his hands and he could not fix it in its place. He did not even notice it fall down and roll away under his bed. He shouted out:

'That was enough for me. That quenched my thirst for revenge!'

Then, he let himself fall back again in bed with his arms set wide apart, saying with the conviction of a faithful believer:

'What's important to me is that the time has finally come and justice is ultimately done.'

He sat up again and said:

'Of course, they did their best to abort my feeling of revenge by clubbing me, kicking me, slapping me... But that didn't work!'

He took a breath and, with enthusiasm, he continued:

'Feeling self-confident, I went, straight to that burglar's door, Flat-Nose's. Believing in the cause that motivates me, I knocked on his door and waited for him to step out with his wild animal behind.'

He stopped and blinked as if he remembered something he had long forgotten:

'Poor man! He thought that the sight of a tiger in a city would make me shiver to death. He probably compared me to the people he's used to ransacking their money and property. However, his reckoning proved wrong as I, with all the nerve possible, used my electro-shock weapon and sent the tiger lying motionless on the ground and the battle was won twice.'

Abdou showed his fingers to enumerate his opponent's failures. Thumb, first:

'One, because my rival turned all at once powerless.'

Then, forefinger:

'Two, because I redeemed the whole city from a dangerous burglar…'

He kept quiet for a long time. Then, he suggested:

'Next time, I'll take you with me. I promise!'

'Of course, you'll do.' Simou replied. 'You'll always need someone to help you get your pants up and belt it for you. Someone to get you up from the floor and take you to your bed…'

Abdou sneered but kept quiet while Simou, seemingly busy, continued without turning around:

'Tell me first: How did you manage to come back home, yesterday?'

Abdou tilted his head, flung his flat-mate with a critical look and said:

'Why can't I come back home all by myself? Do I look so powerless to your brown eyes?'

'My brown eyes have nothing to do with what happened to you, yesterday. I am enquiring about an event. So, don't answer me with another question!'

Abdou lowered his eyes, changed the position of his head, freed his clasped hands and took too much time before echoing Simou's question:

'What happened to me, yesterday?' Then, coming back to himself, he said: 'I think I have just told you.'

To encourage him, Simou stopped his work, turned around, took his flat-mate from his shoulders and looked him straight in the eyes, shouting out:

'Do you know where and how I found you when I came back home after midnight, yesterday?'

He stopped to hear Abdou say something but the latter kept quiet although he showed growing interest in Simou's speech:

'Yesterday, at one o'clock in the morning, I climbed up the stairs and was surprised to find the door of our flat wide open while the lights inside were all off. I tried to get in and switch on the lights to see how everything in here was but I stumbled over your body lying dead on the floor and I fell down next to you. I was so scared to hear you snoring like a slaughtered man that I yelled in panic.'

'Do you mean that I was lying on the floor?' Abdou intervened.

'I don't mean anything. I stumbled over your body and I fell down, frightened. That's it!'

Simou noticed that he was, once again, shivering all over. He got near Abdou and sat down next to him:

'At first, I thought it was a murder crime committed in our flat. So, and I started thinking right away of all the probable causes, victims and convicts. However, on switching on the lights, the victim was no other than you but the rest of the story remained missing!'

Simou stopped, stood up, walked to the corridor wall, took the mirror out off its nail and brought it along to Abdou's face, asking him to raise his chin a little and show his neck:

'Look at these scratches on your neck. They have dried a little, now. Yesterday night, they were all covered with blood. So, I had to dry it with cotton and alcohol, change the scarf you had on for mine and get you up to your bed'.

Simou reached out to Abdou's neck to show him the scarf that is his. Abdou, at last, found the words he had been seeking:

'I think the core of this story is to let me know that you are the one who has helped me into my bed.' He clapped his hands, saying: 'Thank you very much, my dear!'

Simou, sarcastically, retorted:

'Not only did I get you to your bed, I also rolled your pants up to your waist. You had your pants rolled down to your ankles while you were snoring drunkenly, pillowing the cold floor. Perhaps, you wanted to get rid of your trousers while trying to go to bed but you were too drunk to do it all by yourself…'

Yielding, Abdou changed the tone of his voice, frowned thoughtfully and said:

'What I experienced, yesterday, was heroic and what you are reporting, right now, is humiliating. The yesterday I still have throbbing in my veins stands at odds with the one you're telling me. However, I find what you told me kind of credible.

The signs of truth are still available but I am in such a dilemma: Shall I believe myself and the thread of events I have lived or shall I trust the evidence showing the counter life, proving to me how strange I have been to myself?'

Simou tapped him on his shoulder, soothing:

'Have a bath, first, and change your clothes. We will have the time required to play back your heroic adventures!'

Abdou stood up with apparent difficulty, shuffling away to the bathroom with the mirror in one hand and the towel in the other and disappeared behind the door that he locked nervously.

Simou turned the radio on, pumped up the volume as he found a song that he loved so much, The Beatles' *Here Comes the Sun*. He flung all the windows and doors open. He stretched his arms out, threw his head back, closed his eyes and accompanied the song while swirling around.

Simou sang so passionately that Abdou, in the bathroom, joined him unintentionally. At times, he kept pace with the musical band. At other times, he found himself either late or ahead of the band and he had to hum the tune to make up for the lag. On Abdou's coming out of the bathroom humming to himself, the duo sounded a harmonious choir.

'I'm ready!' Abdou shouted, drying his hair with a towel, showing a cleanshaven chin and new bruises on his face.

'So, let's go!'

The air, in the stairway, was so stale that they had to press their noses close with their thumb and forefinger the way they usually did when using the stairs as the neighbours, in all the floors of the building, never opened their doors to air the place and refresh it.

Outside, Simou felt the air so fresh and breathed out deeply, took a chair, drag a table, leaned with his left elbow on the table and raised his right hand to the waiter to order two cups of cappuccino and two slices of cake, the way he usually did in Café Chourouq.

He looked up and found the sun barely peeping under the massive grey clouds crawling along from every corner towards Fez city, dangling heavily over the buildings around, darkening their mirror-like windows and turning the place into a shady huge tent.

The waiter appeared with the orders on his tray. He cleaned the table one more time, put the first cappuccino next to a thick slice of cake then the second cup with the second slice before retreating, wishing his two customers good health, the way Moroccan waiters usually did.

Simou sipped at his coffee and asked:

'At what time were you in the bar, yesterday?'

Abdou raised his arm to have a look at his watch but remained motionless.

Simou noticed the immobility on his countenance and asked:

'What's the matter, man?'

'The watch on my wrist isn't mine!'

'When have you noticed for the first time that it is not yours?'

'Right now!'

'What kind of watch were you wearing, yesterday?'

'A Swiss watch with an originally golden band.'

'Did you make an exchange with someone else? I mean: did you give someone your watch and got his in return?'

'An exchange? Never!'

Simou got nearer and asked Abdou:

'Do you have any change in your pocket?'

Abdou searched in his pocket and picked up a few coins:

'These are all that remained from the bill I paid, yesterday, in the bar.'

'At what time were you in the bar?'

'From sunset to midnight!'

'Can you show me the way to the bar, please?'

'Sure!' Abdou said, leading the way.

On coming at *Saada Bar,* Simou glanced at Abdou's countenance and noticed his abrupt frown. He led the way up to the bar only to see an unusual movement in the corridor: bouncers turning away with their faces to the wall, waiters withdrawing with their trays in hand, servants running upstairs where nobody showed from the open windows, barmen standing bewildered with their mouths agape…

Simou went right away towards the boss who burst out:

'Please, sir. Will you have the kindness not to bring that customer to my bar again?'

'Why, boss?' Simou asked.

'He is an utter troublemaker!'

'Can you make it clearer, boss?'

'Yesterday, he did such a mess! He got drunk and climbed up a table, rolled down his trousers and pissed over the other customers in the adjoining tables, shouting that he is avenging himself of the humiliation Fassi people've been treating him with during his stay here, in Fez!'

'Have you left him do that kind of thing to your customers?' Simou asked.

'Surely not, sir! The chief waiter in the bar, along with the bouncers, couldn't put up with the crisis and declared war on him!'

'So, they quarrelled!'

'That was a fierce quarrel with all the people in the bar, customers and servants, pounding him while I stood by the door praying God to help him survive those deadly knocks that seemed at some moments never-ending!'

'So, you did nothing to stop it!'

'I couldn't allow myself to get into such trouble but I did help at the end by collecting the coins scattered on the ground that were possibly his. I even slid into his pocket a plastic black belt watch that everybody believed to be his. Then, I took him right to the address written on his identity card, using my own car but he insisted on stopping by the door of another house to settle another quarrel!'

'Can you tell me where that place is, boss?' asked Simou, very politely. 'We, really, want to go there?'

'Yes, of course. It is in Residence Layla in the far south of the city.'

'Residence Layla!' Simou exclaimed, looking, first, at his friend; then, back to the boss. 'But that is the area where we live?'

'I remember having heard him say that he has to settle a conflict with someone there. A burglar who uses probably a tiger in his nightly attacks on people in public streets and take away their money and property…'

Simou thanked the boss for his cooperation, dragged Abdou from his arm and left. Still, the boss followed them outside the bar, begging Simou to dissuade his friend from coming to his bar again. Once safe, Simou asked Abdou:

'Can you show me where that burglar lives?'

'Of course, he lives all alone in his house in our area. When he travels, his sister assumes his integral responsibilities.'

'Where can he go in such weather?'

'Nobody can predict the destination of a burglar. He's such a dangerous criminal, the most dangerous of all. Everybody knows his terrible speciality. He uses a tiger, at night, to stop people, frighten them and empty their pockets off money.'

Simou interrupted him:

'Can we go, right now, and see how things go there?'

'Of course.' said Abdou, jumping up. 'It's just a quarter of an hour away!'

Abdou knew the city map well. He got his friend to the desired address in no time but he hesitated to ring the bell next to the door frame. He refused even to knock on the door and Simou had to do the job. A tall, white girl opened the door and recognized Abdou all at once. Simou noticed her astonishment and asked her:

'Hello, do you know each other?'

'Absolutely not but I know him by his constant presence in the area: passing by, knocking at our door and pretending to ask about something or someone when he is sober in daytime. At night, he shifts from character to character, from sobriety into drunkenness, from gallantry into impudence, from asking questions into confessing his love...'

Simou asked Abdou, pointing to the girl with his forefinger:

'Is this the girl you met on this doorstep, yesterday?'

Abdou shook his head:

'No. I met a man.'

Abdou stopped to make it clearer:

'He was a well-built young man, quite robust and tough, with the chain around his wrist, dragging a tiger and provoking it to attack me!'

The young lady, surprised, intervened:

'But he didn't even see my kitten, *Tiger*. He just heard me shouting: "*Tiger*, come here"!'

Simou, startled, addressed himself to Abdou:

'Have you seen a real tiger, Abdou, or have you just heard someone calling out *Tiger*?'

Abdou, embarrassed, confirmed:

'A tiger is a tiger and I've seen it running around here, roaring and waking all the nearby people who rushed to their balconies at midnight to see the wild thing! I've even been bitten on my arm!'

He rolled up his right sleeve and showed a bite that Simou bet was less than a tiger's jaws can hold. The girl easily recognized the brown, crescent trace on the man's arm:

'That's my bite, man. I bit you to keep you off me. I did it when you wouldn't leave me alone!'

'Have you bitten me?'

'Of course, I did. I would've even devoured you if you hadn't taken to your heels!'

Abdou and Simou looked at each other for a long time and walked away, Simou leading the way and Abdou following him without exchanging the least word.

At home, Abdou was busy doing the packing while Simou was busy ironing the crumpled clothes he had thrown in a heap on his bed. Abdou's luggage was ready to pick up but the heap of clothes on the bed showed that Simou's work needed much more time and patience. Abdou got it in time and broke the ice, addressing himself to his flat-mate:

'Simou, Be my best friend and join me in my new journey towards a newer world. Let's go away from here to some other place where people can be less cruel and less stony. I can't spend one more day, here. Anything I build, here, is reversed. Anything I pile up is stolen from me. Anything I pump with life and energy is emptied. People here love to break your heart, pull down your achievements and sneer at your victories. I won't spend one more night here and I won't leave without a friend by my side.'

On coming to the door, he turned around with one foot on the doorstep and the other inside. He said nothing. He kept looking at his flat mate. He prolonged his look as much as he could. Then, he turned away, picked up his bag and strolled away, leaving the door wide open behind him.

Simou kept ironing his crumpled clothes piled up on his bed while counting Abdou's steps getting further and further then nearer and nearer again but with a different strength in their sound and a quick speed in their rhythm until they stopped on the doorstep, a few yards behind his back.

The bell rang but Simou did not turn back. He just said:

'I know you will never go away all by yourself!'

The answer came from a voice quite alien to his ear:

'Police, please!'

Simou stopped ironing. He did not turn around. He seemed mummified although he could still hear the officer ask:

'Where's the other young man?'

'He left a few minutes ago, officer.' Simou said.

'So, he ran away! But he can't escape my grip. I will show him what it means to piss on the people who are there for his security.' The officer glanced around. 'Where

did he go?'

'I don't know, officer. He may be leaving the city by this time.'

The officer, surprised, shouted his orders to his men:

'You will divide into two groups: you will go to the railway station and you to the coach station. Your mission is to bring the man before the first vehicle or train leaves the city!'

The policemen rushed away and Simou hustled to the door and slammed it.

Feeling safe, he sighed deeply and let his back rest against the inner part of the door with his eyes wide open, staring at nothing. Yellow prevailed on his countenance.

Small beads of cold sweat shone on his forehead and grew bigger and bigger when his back started to feel the scratch of wild claws going up and down the outer part of the door behind his back. His knees failed to keep him upright and his back slid down against the inner part of the door until he found himself rouching on the floor.

A tiger's roar crossed the wood of the door into Simou's eardrum and another human roar resounded in his veins and bones:

'Open the door, you coward!' the voice shouted, furiously, outside.

The wild animal's claws on the outer part of the door alternated with the wild human bangs that shook the whole flat:

'Who told you that battles are won in one single round?'

Then, kicks grew more and more violent:

'Get out, you coward, and face your destiny!' the man roared, outside.

The building sounded strangely uninhabited with that wild roar echoing throughout its stairwell. The tiger's fury outside turned intolerable while Simou prayed convulsively for some extraordinary hand to get him up on his feet. All he needed was a once-in-a-lifetime miracle to help him move along to the lonely window and jump from the seventh floor down to the roof of some slow-driven truck that would drive him away to somewhere safer.

Nothing inside Simou's flat seemed to be worth the care he usually gave it from morning to evening. Nothing but the lonely window before him deserved his attention.

Unusually broad, the window seemed, this time, to show no trace for the earth and earthlings. He felt a strong urge to believe himself to be living in a dream. Only in dreams, can one attend such fantastic scenes. The open window seemed very much broader than its everyday size. It looked rather like a broad canvas, showing, at first, only one colour: that of the blue sky.

Then, there was the blue sky as a background leaving the foreground for a couple of fluffy, white clouds floating along sleepily. Then, there appeared a small flock of seagulls hovering around silently against the white and blue background in the window-canvas.

The seagulls floated around clockwise and anticlockwise. They drew circles and spirals in the air. At times, Simou believed them to be enjoying themselves after a fruitful session of fishing. At other times, he believed them to be meditating his own case out of the broad window. He could even feel them sneering at the poor, helpless man that he became, believing himself to be a biped while he could not even creep away and save his life.

For the first time in all his life, he had this exceptional chance to have a look at wild seagulls from such a close distance and he loved that. For the first time, he loved seagulls since Fez is not a coastal city and such a spectacle was unusual. For the first time, he loved flying and, for the first time, he got to know the importance of having a couple of wings fluttering on his back.

Written in 2017